المجلس الأعلى للثقافة

طائر طروب



قصص
قصيرة

نبيل شاهين

مطبوعات
المجلس الأعلى للثقافة

طائر طروب

قصص قصيرة

نبيل شاهين

دراســـة

بقلـــم

د / صـلاح عبـد الحـافظ*

* أستاذ النقد الأدبي المساعد كلية التربية - جامعة الاسكندرية

كتب الأديب السكندرى نبيل شاهين تلك القصص الإحدى عشرة كمحاولة جادة منه لخوض فن كتابة القصة القصيرة للمرة الثانية بعد أن نشر مجموعته الأولى «البحر والحب» .

الواضح أن الكاتب فى مجموعته الأخيرة «طائر طروب » قد طور نفسه من حيث البناء الدرامى واللغة والتمكن من دراسة الواقع المحيط ونحو ذلك من أدوات فن كتابة القصة بعامة ولكنه يحتاج إلى المزيد من التطور . حاول نبيل شاهين أن يجمع بين البعد الزمنى الناجم عن موقف ذاتى شخصى ، وبين الموقف الاجتماعى الناجم عن قضية اجتماعية أو موقف عام يعانيه بطل القصة أو أحد شخوصها . كما حاول أن يستخدم الإيماء فى لغة سريعة ونامية . كما استعان أحياناً بالرمز الذى ربط بين البعدين اللذين أشرت إليهما داخل شخصية البطل من خلال موقف ما .

ففى قصة «موت طائر طروب» نجد الببغاء «ميتو» الذى اشتراه صاحبه من الهند التى هى كما وصفها «بلاد الأعاجيب» نقيض كل شئ هناك «الكوبرا المستأنسة» القرد الذى يسرق الإنسان . البقرة التى تُعبد . ويركز الكاتب على المفارقة بالذات فى اختيار الرمز

« المطر هناك صيفا ». ماؤه الذي غمر كل جسد عندما رأيته (ميتو) إنه اسم ببغائي الهندي المتحدث عاش معي منذ عشر سنوات .

هذا الببغاء يرمز في القصة قيمة الحياة بالنسبة للبطل هوى من فوق أخذ معه كل كياني . قدري فقد وجد فيه كل «كياني» حيث أعطته أسرته كل مقومات الحياة العناية والاهتمام . وشغل ذلك كل ما حولها . وظهر هذا الاهتمام على أشده عندما «مرض ميتو» . والتفت عناية الأسرة حوله . حتى أنه صار أقرب إليهم من البشر أنفسهم . فنرى المقابلة النفسية في العلاقة بين البطل وبين الببغاء . فقد أعطته الأسرة «قيمة حياتية» كان البطل أولى بها . أو على الأقل لا يقل عنها «كنت دائماً أقول» جناحاك فقط يذكراني أنك طائر . وهما كديكور فقط . فهو يراه من شدة الاهتمام به إنسانا مقابلا له أو رمزا له في الباطن فالجناحان هما علامة الطائر لا الإنسان ولكن إذا أصبح الطائر هنا إنساناً أو كالإنسان فالجناحان «ديكور» إذ شارك أسرتي في كل شئ طعام شراب - أصبح ابني الثالث والابن هناك هو جزء من الكل يحافظ عليه . حازم ابني الصغير يحنو عليه يشتري له قصب السكر ليراه وهو يمتصه بصوت مسموع مثل الإنسان . فهو جزء من مسكننا أصبح جزء من عالمنا . أعطيناه الأمان وهذا الموقف الجيد والعطاء والحنان من الابنين وأمهما للببغاء من ناحية أخرى يقابل الموقف الاجتماعي

الآخر الممثل فى عدم الانجاب فى شخص نادر أخى البطل .. «كان نادر أخى فى زيارتنا لم ينجب . وعمره أكثر من أربعين عاماً» موقف العقيم .

يسأل الابن تامر عمه متغافلا عن عدم الانجاب . «ياعمى ماذا تفعل لو مرض ابن لك ؟ . «سرح نادر بعيداً ، أبعد من الغابات وغاب عنا ، ولم يرد تنبه تامر عما سببه من ايلام لعمه ، وتنهد نادر رادا على أسف تامر . بسؤاله . قائلا «إننى اتعجب كيف تتحملون كل متاعب هذه الرعاية ، ووجع الدماغ هذا لماذا ؟ محركا يديه التى اصطدمت بقفص الببغاء ، تحفز «ميتو» ليعضه رغم مرضه .

وهكذا نرى رمز اصطدام اليد الدال عل المفارقة والتضاد وكذلك التحفز للعض من جانب الببغاء . وانتهت هذه المفارقات بموت الببغاء فرغم الاهتمام الشديد بالببغاء . فقد سقط من الشرفة ولقى حتفه وحاول بطل القصة أن يمنع ذلك ولكنه لم يستطع فعل شئ (هوى ... قدره ، أخذ كل كيانى معه .. قدرى ...) . وعاد كل شئ كما هو على حاله . فمهما يكن من تصرفات البشر فإن «كل شئ . ميسر لما خلق له . وهى العبارة التى أنهى بها الكاتب قصته أو هى العبارة المحور لها فى قصة «الرحلة» نجد شخصية الكاتب حمدى الذى يعانى من مرض تآكل فقرات عموده الفقرى وهو مرض جسدى أدى إلى موقف نفسى يعانى منه حمدى دائماً لأنه لا

يستطيع ممارسة نشاطه أو حياته الطبيعية . وخاصة اهتمامه بالثقافة واصابته بحالة الاكتئاب هذه خفف من حدتها اهتمامه باسرته . زوجته ، وأولاده .

وهنا تبدو المفارقة أو البعدان المتقابلان يجمع بينهما الرمز العمود الفقرى وآلامه وبين آلام الجسد وتدهوره وبين قيم المجتمع الذى يعيش فيه الكاتب . وصموده الثقافى والأخلاقى الذى يمثله الكاتب أمدته وبكت وعاودته آلام ظهره . احتدم النقاش بين الناقد وحمدى المبدع . رد أكثر من مرة إننا لابد أن نضيف لمن سبقونا . لا أن نبتر ونبدأ من جديد فالوقت قصير تعلق بصر حمدى بلوحة قديمة مثبته على الجدار لأرض خضراء عل جانبى النيل لم يحس أثناء ذلك بآلام عموده الفقرى فالخضرة هنا النماء الحياة . الحلم الذى يريده حمدى لآلامه وطموحه بعيداً عن آلامه ومرضه «انحاز بعض أعضاء الندوة لحمدى . ومعظمهم للنقاش ذاد الصخب ارتفعت الأحداث . اختلطت تحولت إلى صراخ . زادت آلام عموده الفقرى . انصرف كل من فى الندوة . تركوا الهدوء للساعى والقاعة لينظفها من أعقاب التبغ ردد بعض العبارات التى سمعها الاقتصاد عمود كل شئ حتى الثقافة صوته يخبو تماما فى بعض الكلمات لعدم فهمها فالأمراض والحياة المادية تأكلان فى جسد الأمة الثقافية كما يأكل المرض عمود البطل الفقرى ، الأثر النفسى،

الهشاشة ، الضجيج الصخب يقابلَ الجدية والتطلع والاخلاص .
لا يحل أى حل .

والوحيد الذى يريد التطلع وتحقيق الأمل يصاب بالمرض .
مفارقة الحياة ومفارقة الثقافة والقيمة النفسية الشخصية الممثلة فى عمود حمدى الفقرى تنتهى بانتهاء حياته فى آخر القصة أو انتهاء حياة الثقافة والطموح والجدية وانتهى عمود الثقافة الذى يمثل القيمة أو البعد الاجتماعى المقابل بين الوضع المرضى الذى فيه البطل وبين النزعات والرغبات التى يريدها للخلاص مما هو فيه .
يحاول الذهاب فى رحلة مع ابنه محاولة ممارسة الحب مع زوجته .. إلخ .

وفى هذه القصة استطا ع الكاتب أن يربط بين (حسد المجتمع وبين القيمة الإنسانية والقيمة الاجتماعية . ولذا جاءت المعالجة الدرامية طريفة) .

ونجح الكاتب فى إشعار القارئ بالمفارقة من خلال التطور الدرامى بين وضع الإنسان وحياته وكيانه بين طموحه وثقافته وتكوينه الاخلاقى والروحى بين التطلع والأمل وبين الوضع المفروض حتى يفقد الإنسان كل شئ فى سبيل الصرا ع . الصرا ع مع المرض والصرا ع من أجل الهدف الذى يسعى إليه .

وفي قصة (السباق) نرى حمارا مجهدا يجر "كارته" أو عربه حنطور صغيرة يمثل هذا الحمار موقفا اجتماعيا أو موقفا غير إنساني في معاملة الحيوان الذي يجهده صاحبه فوق طاقته ليزيد من دخله في الوقت نفسه : لا يعتني به القدر الكافي . يقابل هذا الموقف موقف ذلك الرجل الذي يعمل "قاضيا" والذي ركب الكارته . وألمه منظر الحمار ويعاني من وطأة المصروفات والأعباء العائلية والوظيفية . معاناة تقابلها معاناة تقابلها معاناة .

واستطاع الكاتب أن يدمج الموقفين معا (تتدخل العبارات تطن اثناه انين معدته يذكره بأنه لم يفطر حتى الآن ولم يتعش بالأمس الجوع . الحر . الارهاق سويا بالمطرقة إنهالوا على رأسه . مصاريف ابنته . وصل الايجار مطرقة ثانية وثالثة . خفف صف طرقاتها . انخفاض سرعة الكارته . رأى شهاب وهو اسم الحمار (وتسمية الحمار هنا باسم انسان له مغزاه التقابل بين الموقفين رأى شهاب وهو يحاول في عناء أن يصعد مرتفعا اسفلتيا وبمهارة المحترف وإحساسه بالخطر قفز السائق من الكارته إلى العجلة القريبة ويحاول دفعها وهنا يحاول الجميع بما فيها بطل القصة أن يمنعو العربة من العودة إلى الخلف وكأنهم يحاولون مقاومة الموقف ولكن انطلق الحمار إلى الامام بعد أن خفت وطأة العربة خلفه وجرى الجميع للامساك به . وهنا نجد أن الحمار نفسه أصبح وكأنه

يطلب الحرية والمساواة والفكاك من أسره والذل أو الخروج من إسر التبعية والقيد . وكذا بطل القصة مجاهد وهنا نجح الكاتب من خلال المعالجة الدرامية للقضية واستخدام الرمز الحمار والكارثه أن يجمع بين الموقفين موقف معاناة هذا ومعاناة ذاك وبين الموقفين الآخرين : الموقف الاجتماعي والانساني العام الممثل في معاناة هذا الحمار وموقف رزق صاحب العربة . والموقف الشخصي لمجاهد وما يعانيه من أعباء وظيفية وأسرية . فنجد ثلاث نقاط أساسية (الموقف الانساني والاجتماعي في مأساة الحمار والموقف الشخصي الممثل في مجاهد وموقف المعاناة الذي يجمع بين مجاهد والحمار أي أن الكاتب ضمن قصته هدفاً اجتماعياً وإنسانيا من خلال تصويره للواقع والشخصيات بالإضافة إلى ذلك أظهر لنا الكاتب دقته في التصوير الحدثي (دائرة حدوة الحمار تجسم القوة عند ارتطامها بالأسفلت استطاع أن يستغل مدركات الصوت في التصوير .

(الحدوة ارتطامها بالاسفلت ليوظفها دراميا لبيان البعد الاجتماعي) كما نجح في تصوير المفارقة عندما يقول (إني أفعل كل شئ له وهو الأهم حتى مني . إنه مصدر رزقي ، تصور يا أستاذ أني أضع كل العشب الأخضر على جرحه ولم يلتئم الجرح بعد .

يريد المزيد فأسباب حياة الحمار وبقائه حيا هي الأسباب

ذاتها التى تساعد أو تبقى على الجرح كما هو لكى يتحرك الحمار ليدر الرزق من خلال معاناته .

أما قصة "الحية" فهي تتناول "ورشة " من الورش أو مصنعا صغيرا استدعى صاحبه (درويشا) لاستخراج حية به قد تؤذى العمال وهنا لجأ الكاتب إلى استخدام عنصر السحر أو ما فوق الواقع وتوظيفه دراميا داخل قصته ويشكل ذلك موقفا . نشعر كقراء بأنه بسيط أو لا قيمة له لكن الكاتب استطاع أن يجعل منه مفارقة ساخرة بين وضعين : وضع الدرويش الذى يستخرج الحية بتعاويذه وموقف الناس حوله الذين تجمعوا ليروا نتيجة بحث الدرويش عن الحية وهل يستطيع استخراجها ؟ أى حالة التطلع ثم التصديق بين موقف هؤلاء الناس الذين يمثلون المجتمع والذين منهم طفل صغير أصابته الحية فى يده أو إصبعه وبين موقف ذلك الشخص رث الثياب الذى يرتدى جلبابا مرقعاً . ويظن من يراه أنه فاقد القيمة لكنه هنا وفى هذا الموقف بالذات فى غاية الأهمية فلا يستطيع أحد أن يستخرج الحية سواء سألهم طفل صغير من الملتفين خارج الورشة مشيراً إلى جرح فى يده . هل هذه لدغتها؟ أجابوه معا هل تحس بألم الآن ؟ أومأ بأصبعه نافياً . ضحك قائلا: إذا احسست بالألم بعد فتره تأكد أنها لدغتك وإذا لم تحس فالعيب فيك .... ، اللدغة نفسها أحس بها أنور عندما سمح

للدرويش بدخول ورشته لإخراج الحية زحفت يدا الدرويش متحركتين برسم مثلثين مقلوبين متداخلين يتبعهما ترنيمات ويحتقن وجهه ويتمتم يعلو صوته يخفضه فجاء السكون بين العلو والانخفاض يبهر الناس حوله يسيطر عليهم . يسكن حواسهم . يجرح السكون صفير الدرويش دون رد . مرة يتبعها مرات انبهر الجميع عندما أصبح الصفير يتبادله الشئ الخفى والدرويش . صرخ الدرويش سأؤذيك إظهرى وإلا ... اظهرى فهذه الحية هى الرمز المشترك الذى يربط بين موقفين : موقف المجتمع الرافض للشعوذة ، ومع ذلك يبهره فعل الدرويش ما يضطره إلى مهادنته . وبين موقف ذلك الدرويش الذى يرى أنه مع رفض المجتمع له . وقد أصبح مهما . له قيمة مع شعوذته ودجله .

وكأن الكاتب يرى أن هذا الرجل أصبح له أهمية لابد منها وأن هؤلاء الدجالين والمشعوذين بل والمحتالين وهم للأسف أصحاب قيمة وشأن فى هذا المجتمع .

وهنا نجد تناول الكاتب شخصية من الأشخاص العاديين كما فى قصصه السابقة وانما شخصية شاذه نادرة وجعل الموقف الدرامى بينها وبين المجتمع ككل ليظهر مدى قيمة هذا الشاذ أحيانا ومدى التأثير فى الناس وجعل المقابل له داخل البعد الاجتماعى فكلاهما كما تصوره القصة يثير اهتمام الناس حوله - وكلاهما له قيمة سواء الحياتية أو الغيبية .

فالكاتب يرى المجتمع مع تقدمه وتطوره مايزال يحتاج أحياناً إلى القوى الغيبية التى تجعل من أضعف الناس وأقلهم شأنا ذوى أهمية وسيطرة وهو نوع من النقد الاجتماعى الشديد تمكن الكاتب من تصويره من خلال هذه القصة .

فى قصة الشجار وهى قصة قصيرة جداً . لاتكاد تغطى صفحة . نرى موقفا انقلابيا بين الحق والمنفعة . فهى تصور (أم هلال) التى تنهال بالسباب والشتائم على بطل القصة . وتصيح وتنفعل وترتجف . فيندفع الجيران ومن سمع ذلك السباب إلى الداخل لتبين حقيقة الأمر . ويظن الرجل أنهم وهم الذين أذاهم لسانها أنهم ينصفونه من أم هلال ولكنهم على العكس انهالوا عليه ضربا بل وطردوه من الحارة . وهذا يدل على أنهم مع معاناتهم منها يخشون بطشها . بل يحاولون استرضاءها . موقف اجتماعى متناقض تتغلب المنفعة والخوف على الحق . ولكن الموقف هذا يقابله موقف إنسانى أتى به الكاتب فى آخر القصة وهو أن «هلال» ابن تلك المرأة كان الوحيد الذى عطف على ذلك المسكين وربت بيده على كتفه بعد أن لاقى الأمرين .

استطاع الكاتب أن يربط بين الموقفين : موقف أم هلال والعنف والقسوة وموقف هؤلاء الناس الذين لم يبالوا بالحق والظلم قدر مبالاتهم بالقوة والبطش عن طريق هذا الابن .

وانهى الكاتب القصة بهذا الموقف الإنساني المفاجئ وقد جسد هذا الظلم الاجتماعي عن طريق الرمز بهذه المرأة القاسية تقاذفتني الأيدي - ارجل كثيرة تركلني . ألسنة أكبر من لسانها تلدغني . صفعات على صدغي . طردت من الحارة . الكثرة تتودد إلي أم هلال . تطيب خاطرها وتحاول ارضاءها . تزجرهم هي . يعلو صوتها ثانية . افقت بيد صغيره تربت على كتفي . نظرت نحوها ، إنها يد هلال... انسكبت الدموع من مقلتي . كنا نفضل أن يكون عنوان القصة (أم هلال) بدلا من الشجار لأن اسم تلك المرأة أو كنيتها هو الرمز الذي يجسد الإيذاء والعنف والقوة . وتحمل اسم ابنها العطوف في الوقت ذاته في حين لم يذكر الكُاتب اسم ذلك المضروب البائس وذلك اشارة دقيقة منه إلى اجتماعية القصة ، الموقفان ذاتهما في قصة (الصعود إلى مالا نهاية) حيث نجد المتهمين باغتصاب الفتاة نعيمة يمثلون شرائح من المجتمع (عيون فاروق ابن التاجر الكبير يغطيها زجاج سيارته الأمريكية الفارهة التي تنفي عنه التهم ... ، بدانة محسب التي غطت على اتهامه بكل كرشه البارز . فحتى السمنة تورث . فأبوه منتفخ برشاوي المساكين ، كذلك فخامة حديث جمال ، أوتاره الرنانة التي يسحر بها السامعين تذوب وتتلاشي بمجرد أن تتركه يقابل هذا الموقف موقف الكواء الذي أحب نعيمة . واتهم هو الآخر باغتصابها . وتتجه أصابع الإدانة نحوه من خلال هذين الموقفين نرى مدي تلاشي المثل

والحق وراء المصلحة والمنفعة أو الخوف أحيانا ، كل الحى يرى ... وكلهم يسمعون . ولكن يسمعون عندما يريدون . فمصلحتهم أولا وأخيرا ، وتستمر فكرة المفارقة التى يحرص الكاتب على إظهارها والحب الصادق الذى يبثه الكواء لنعيمة يقابل ذلك الزيف المتخفى وراء بريق المال والشهرة . وقد ظهر ذلك الزيف وتلاشى البريق عندما نظرت القضية أمام المحكمة . وكذلك أظهر الحب الحقيقى فى قلب تلك الفتاة ، صدق تقديرها للناس وكشف مظاهرهم الخادعة فهى لا تأبه بهذا كله يد محسب المكتنزه مهما ملست عليها افرزتها عرقاً ، سيارة فاروق تراها تابوتاً . عذوبة حديث جمال رفعها إلى القمة سكت فسقطت إلى الهاوية انقلاب نفسى أمام ما تراه وتحول من النقيض إلى النقيض. ولكن نلاحظ على الكاتب إشارته إلى قضايا اجتماعية متعددة من خلال وصف لوضع المتهم فى زنزانته . ونرى ذلك تزايد لاداعى له وخاصة فى القصة القصيرة مثل:

تذكرتها فى زنزانتى ١١ .. إلى قوله " زادت مرتبات الشباب خريجي الجامعة بمقدار جنيهين لتصبح ٦٧ "

فنجد اللقطات المركزة السابقة المتتابعة المعبرة عن موقف معين قد تشتتت خلال داخل قضايا نراها لاعلاقة لها بالخيط الدرامى الأساسى للقصة .

نجـد الكاتب فى تصـوير بعض أعـمـاق الشـخـصـيـات بتلك اللقطات السـريعة ، تلك الشـخصيات التى تحـضر المحاكمة وينظر إليـهـا المتـهـم وهو يفكر فى (نعـيـمـه) ردد هـل أراها اليـوم ؟ هل يسـحضرونها فى حفلة خيلائهم التى تسمى الجلسـة أفاقتنى ركزه من عصا الحارس الغليظة لأغادر السيارة . وثبت مع زميل القيد إلى أدنى دخلت ... القاعة رهيبة يملؤها المتهمون . فهم أكثر من الحاضرين القضاه لا ينظرون إلا فى أوراقهم الكثيره .... إلخ .

الموقف نفسـه فى نظرة نعيمة إلى هؤلاء الذين وصفتهم نظرة من خلال المعاناه النفسيه . والحقيقة أن النظرتين تتلاقيان معا . فجبهتى نفاق المجتمع وريائه سـواء فى الواقع الاجتماعى أم فى جلسة المحاكمة .

قصـة (دموع اخـصـاب توت) تدور حـول حـوارين أسـاسـيين ، وبين واقع مؤلم ، تقول السـائحة "سـيفى" كيف تكونون أول من حفظ الجثث ألوف السنين ولا يقدرون على الاحتفاظ باطعام أنفسهم الآن تلوثون الخبـز بعرضـه فى الطرقـات بينما تحتـفظون بالأحذية فى "الفتارين" تعيشون بالمقابر وتتركون الصحراء جرداء ..

المحور الثانى حيوى جنسى بين "سيفى" كسائحة أتت لدراسة الإثارة أو عالمه تتزيد من الثقافة والتاريخ واستطلاع الحضارة وبينها كامرأة تفكر فى الجنس وتمارسه فقد جذب انتباهها إلى آلة

الاخصاب الفرعوني لم أنس يوم أن عرفني بها زوجها عند زيارة الفوج للمعبد تأملتها . لم تعرني اهتماما . انصب كل اهتمامها بآلة الاخصاب . تعلقت عيون السائحات وخاصة "سيفي" بفحولة اداة رجولته الفاضحة . وأضاف الكاتب إلي ذلك تصويرها بأنها شبه عارية ترقص وتعاشره جسدياً . واستطاع الكاتب أن يجمع بين هذين المحورين مستخدماً الرحلة على الباخرة توت (ثم القطار إلي القاهرة ازداد بكاء الطفل وصراخه امتزجت دموع توت بآلهة الأخصاب حاولت إفهام الأم اختلطت الأصوات بالأرجحة بالاهتزاز بضجيج العجلات كما نجح الكاتب فيما نسميه الارتباط الإيحائي عندما ربط بين توقف ماكينات الباخرة توت) مع ابطاء سرعة القطار فجأة قذفتني بعيداً عن ملاصقة سيفي . توقف إحدى الماكينات الثلاث الدافعة للباخرة فقلت السرعة وأبطأت الموسيقي . قطاري . قطاري أبطأ أيضاً من سرعته عند دخوله منحنيات القاهرة .

في قصة "الكردان الذهب" نرى المفارقة واضحة بين بسطاء الشعب بعضهم والبعض . وهم يستقلون حافلة الركاب ويبدو منهم معاناتهم من غلاء الاسعار وارتفاع مستوى المعيشة ونحو ذلك مما لا يتناسب مع دخولهم ولذلك فهم محرومون من أكثر الحاجات التي هم في أمس الحاجة إليها " نعم ارتفع سعر علبة السجاير "الكنت"

فأصبحت بخمسة جنيهات أنا اشتريتها قبل أن اركب الاتوبيس الآن . البائع نصحني أن اشترى كرتونة أفضل من علبة . لأنها سترتفع حتماً غداً "

(والنبي لأذيد من ثمن اللحمة مادامت السجائر زادت) . وكان التجار يتنافسون في رفع الأسعار أمام الشعب الكادح البسيط والذي يربط هؤلاء بهؤلاء هو الحافلة أو الأتوبيس حيث يجتمع أشتات من طبقات الشعب المختلفة بجسد حوارهم وردودهم المستمرة على بعضهم البعض . التحسر على الماضي بالإضافة إلى الشكوى من الغلاء يضاف إلى ذلك تقارب جسدى بالإضافة إلى التقارب في المعاناه فنجد الأجساد (محشورة) وكأن الكاتب يمثل بذلك إلى الحشر الاجتماعي الطاحن أيضاً " تلاطمت أجساد البشر بعضهم ببعض وخاصة عند الباب بعضهم يحاول الاقتراب منه والآخرون يحاولون الولوج إلى الداخل (اهتزاز الحافلة من كثرة المطبات لامست أجساد الركاب بعضهم ببعض . واستكمالا لعنصر التداخل أو الحشر البشرى والصراع وتطور الخط الدرامي للقصة المتمثل في شقاء هؤلاء القوم تصدر صرخة تنم عن حدوث حالة (نشل) كردان الذهب " تحويشة العمر داخل هذه الحافلة المكتظة وهذا يعني مفارقة أخرى وسط هؤلاء المتظاهرون بالفقر والبساطة نجد منهم من يملك " كردان الذهب " في حين أن منهم من لا يملك

إلا عصاه قبض الشيخ الضرير على عصاه فهى أغلى ممتلكاته ... ولكن يبدو أن الكاتب حريص على أن يربط هذا العنصر المفاجئ براكب الحافلة .

مظهر أن السارق أو النشال (سرحان) هو ابن لأحدى راكبات الحافلة ونرى أن في ذلك نوعا من المبالغة أو المفاجاة غير الواقعية . كما نجد مفارقة أخرى حيث قالت أم سرحان النشال " هو ما نشلش الكردان الذهب . دا خده بس لأنه يشبه كردان جدته . وهذا فى رأينا لا داعى له ويستمر فى المفاجأه غير الواقعية وانتهى الأمر كما بدأ بالاختلاط التام بين هؤلاء وهؤلاء مكانيا ومعنويا بما يدل على تضارب الأراء ونفاق الناس " اهتزت الحافلة . تلامست أجساد الركاب اختلاط كل شئ من المسروق ومن السارق القصة جيدة البناء والتطور الدرامى لولا ما أشرت إليه من تزيد . كما نجح الكاتب فى استخدام الحوار بصورة قوية ولكن لم يقلل من قيمة القصة سوى الخلط بين العامية والفصحى ، فبعد أن أتى الكاتب بجملة عامية متعددة قال على لسان أم سرحان (لما اشتد عوده أصبح يتصرف) والعبارة هنا شديدة الفصاحة وتبدو شاذة بجانب العامية ولا معنى لها فى القصة ولا داعى اطلاقا .

فى قصة الرخصة نجد ذلك الرجل الذى يريد استخدام ترخيص ورشة ، ويذهب عدة مرات الى مهندس الحى . ولكن لا

يجده وقد اتخذ من (مصيلحى) واسطة له عنده من ناحية ، ولإعطائه رشوة مقابل حصوله على الترخيص من ناحية أخرى ، وبعد أن نفذ ما يريد وذهب لتسلم الترخيص وجد المهندس ومصيلحى ذاك ، قد قبض عليهما بتهمة الرشوة ولكن أن أصدر الترخيص المطلوب ونرى المفارقة الاولى والتى يشير اليها الكاتب فى تردد ذلك الرجل على مهندس الحى "اعتدت أن يذهب إليه ولا أصدم ، فقد حدث ذلك أكثر من خمس مرات ولم أجده فيها ، بالرغم من أنى أتأخر عن عملى وأبذل كل ما أستطيع لأصل إليه فى مواعيد عمله الرسمية وفى كل كل مرة أجد حجة عند زملائه لتأخره فمره ذهب لمعاينة ورشة ، والأخرى خرج مع رئيسه المباشر فى مهمة عاجلة والثالثة ذهب لمقابلة مدير الحى وفى كل مرة أنا المخطئ لتأخرى وهنا نجد أن طالب الحاجة أصبح المخطئ والموظف المتغيب عن مكانه هو المحق والمفارقة الثانية تبين أن الرشوة هى مفتاح المغاليق ولا شئ يتحقق إلا بها ، فالوضع الطبيعى والقانونى غير موجود ، ولا قيمة له إن كان موجودا والمقاييس منقلبه ، فالحقيقة والقانون السائد هو الرشوه عدا ذلك غير موجود .

المعالجة الدرامية لموضوع القصة يختلف عن القصص الأخرى فالكاتب هنا لم يستخدم الرمز أو الإيحاء ، واستعاض عن ذلك بالمفارقة أو المفاجأة الأخيرة التى تشكل محور القصة وهى أن

الترخيص قد صدر قبل القبض على الرجلين ، أى بعد الرشوة وقبل قفل هذا الباب ولو كان الكاتب أنهى قصته بأن الترخيص صدر ولم يصدر نتيجة ذلك القبض أو أن الترخيص صدر ولم يحدث شئ للآخرين لفقدت القصة مغزاها ، ولم يكن لها معنى لأن صدور الترخيص فى هذا الوقت الذى أشار اليه الكاتب هو المفارقة الثالثة سواء لمكافأة طالب الترخيص على تعبه وسعيه أو لبيان أن القبض على المرتشين وتنفيذ القانون لم يحل دون تسرب بعض التراخيص ولكى يلقى الكاتب العبء كله على مهندس الحى بجعل الرشوه بغرض الحصول على ترخيص قانونى فى حد ذاته وليس للتجاوز عن مخالفة ولكن نرى أن هناك نظرة لا داعى لها هى من قوله «تمنت نفسى أن أراه .. إلى قوله ليهرب من دفع بعض النقود» فهى مقحمة وتضرب بالخط الدرامى للقصة وكذلك لو أن الكاتب لم يصرح بالغرض من الترخيص كذلك نرى من جهة المعالجة الدرامية أن الفقرة الأخيرة لا داعى لها أيضاً والأفضل لو أن الكاتب أنهى القصة بمفاجأة صدور الترخيص فى العبارة (دخلت أعطانى ورقة إنها الرخصة أفقت) القصة ذات مضمون اجتماعى وتتناول مرضا خطيراً فى مجتمعنا الوظيفى ، كما لا تخلو من جمل تصورية قصيرة سريعة تتميز بها مثل : « من طول الطريق لاح ظهور سارية المبنى الثعبانية وسط المبانى الهرمية المحيط به » ومثل « مسحت عيناى مدخل القهوة أمام الحى حيث كنت أصعد درجات المبنى » .

أما قصة دنيا فهي تمثل شأنها شأن قصة الرخصة قضية اجتماعية أخري وهي قصة تزويج الفتيات من أصحاب الثراء دون النظر لاعتبار آخر وتبين القصة الطموح والامل عند بطلها الذي يصاب بالخيبة والصدمة عندما يعلم أن فتاته التي أحبها قد زوجها أهلها للبلعوطي التاجر الكبير ويقابل هذا الموقف الحلال والحرام فقد حرص الشاب على أن يتقدم لأهل فتاته ليخطبها في الحلال لكن للأسف لم يفد الحلال بشئ وأصيب بصدمة ونجح الكاتب في التقريب بين الموقفين كل شئ أصبح له وجهان ولكن الحلال بّين والحرام بيّن وبينهما متشابهات كذلك نجد مفارقة بين موقفين : موقف الشاب النابه المتحمس المتخرج من الكلية البحرية وكله طموح وأدب وصدق وموقف القدر الذي يأبى له إلا التعاسة وفقدان من يحب وقد جمع بينهما الرمز - الجنس - الحرية وموقف صفا الذي لم يدرك له البطل معنى وقتها ويرمز إلى عبث الاقدار ومايخبئه المجهول وأخيرا واجهنا المؤلف بالمفاجأة وهي أن دنيا محبوبته ترقص ضمن الراقصات في ملهي ، رقص معها ، نال منها بالحرام مالم ينله بالحلال وهنا تتجسد المفارقة الواقع ، والمثال والحياة الحقة الواقعية والمبادئ والمثل هل ما شاهده البطل حقيقة أم خيال هل يري أنه وصل إلى دنيا وحقق ما يريد أنه ما يزال يعيش وسط المثل والمبادئ ؟ ويحقق واقعه بالخيال والتهيؤ والاحلام ولذلك اختلطت السعادة بالتعاسة اختلط تحقيق ما يريده بمتعته مع دنيا

بالآلام التى يسببها عدم تحقيق ما يريده بالاقتران بها ، نجح الكاتب فى استخدام الرمز الموحى دنيا فى الربط بين هذين الوصفين كما أن الاسترجاع أو الفلاش باك جاء موائما للقصة القصيرة غير مبالغ فيه ومرتبطان بالنسيج الدرامى لها .

القصة الأخيرة لست وحدك تظهر أيضاً المفارقة بين الحب الجسدى الذى تملكه الرغبة وبين الواقع الذى يقر فى نفسه فالبطل ، أراد أن ينال «كريمة» خطيبته وهى تحبه ولكن رغبته فى امتلاكها أقوى من حبه «أخذلنى» سرقنى من كريمة حواسى ملك لى لكنها تعمل بإرادة أكبر منى : قلبى معى لكنه جنح منى سألت نفسى: وما ذنبى ؟ كانت إجابتى سؤال : هل كل ما هو موجود فى الكون تدركه حواسى ولكن يبدو أن البطل أصبح اسير حب جسدى آخر فالرغبة تشمله وحواسه المتوفرة أقوى من عواطفه ، فوقع فى المحظور ولذلك عزمت أم كريمة على أن تنتقم منه فاتهمته بالجنون وأودع المصحة هنا سجن نفسى قبل أن يكون سجنا واقعيا ، شعر الناس أن الجنون أصابه وأودعوه تلك المصحة لكى يشفى من مرضه وجد أن هناك كثيرين مثله يعانون مثلما يعانى ومن الموقف نفسه ، ولكن أهله استطاعوا أن يخلصوه من ذلك الكابوس الذى يخيم عليه ووجد جاسم رفيقة فى الموقف والحالة وهى حالة ليست مرضية كما يراها الناس وإنما حالة نفسية يجسدها ارتباطه

بكريمة محبوبته الأولى وكان من الطبيعى أن يلفظها لكى يخلص نفسه وكان الرمز لذلك الخلاف دبلة كريمة الذهبية التى ألقاها فقد شعر أن كريمة لا توافقه وأن شعوره منذ البداية لا يتفق معها ، وكان الشيخ الذى يرتدى الجبة هو الرمز الجامع بينهما ، وبذلك تخلص من حالته النفسية تلك وتخلص من كريمة وأصبح حرا .

القصة تعالج موقفاً نفسياً لا اجتماعيا كما رأينا فى كثير من قصص الكاتب السابقة وقد حرص على أن يستخدم تعبيرات مباشرة تجسد هذا الموقف مثل «حواسى ملكلى لكنها تعمل بإرادة أكبر منى ، قلبى معى لكنه يجنح منى ، ومهما كنت ذرة فى ترس آله . لا تدركه الآله » بعد هذا العرض لقصص المجموعة نقول : -

أولاً : - جمع الكاتب بين القضايا الاجتماعية والإنسانية العامة وبين التصوير الشخصى والنفسى فى قصصه لذلك جاءت قصصه شاملة لا تختص بتيار بعينه أو اتجاه محدد .

ثانياً : - نوّع الكاتب البيئات والشخصيات والمستويات ولم تقتصر قصصه على بيئة معينة أو طبقة اجتماعية خاصة وإن كانت أقرب الى البيئة الشعبية البسيطة .

ثالثاً : - تدل القصص على خبرة مجتمعية لا بأس بها كما لم تؤثر وظيفة الكاتب وهو مهندس بحرى .. فى مواصفات القصص اللهم إلا فى قصة دنيا إن شئنا ربط وظيفته بالسفن والبحر كما

نرى أن البيئة السكندرية التى ينتمي لها الكاتب لا وجود لها فى إمكانه أن ينميها من خلال حديثه عن السفن والبحر وربما يراعى ذلك فى قصصه القادمة ، ولكن بحيث لا يفقدها الشمولية أو تبعده عن قضايا المجتمع المصرى بعامة .

رابعاً : تنوع قصص نبيل شاهين من حيث الحجم فمنها ما يقع فى صفحة ومنها لا يزيد على ثلاث وهى أحجام مناسبة للقصة القصيرة كذلك لم ينص فى سرد حوادث خارجية إلا فى النادر اليسير الذى اشرنا اليه كما لم يفرط فى استخدام الشخصيات .

خامساً : بالنسبة للبناء الفنى لم يكثر الكاتب من المقدمات أو الحديث السردى وكثيراً ما اعتمد على عنصر المفاجأة وأحيانا على أزمة يدركها القارئ من سياق القصة وليست نهايات قصصه تقليدية أو مقتضبة أو مقحمة بل تنتهى القصة نفسها بنفسها فهناك إلى حد ما نوع من الوحدة العضوية فى القصة بحيث تتداخل الرؤى أو جزئيات البناء الدرامى معا وليس من بداية محددة أو نهاية محددة كما لعب الحوار دورا اساسيا فى هذا البناء وخاصة فى قصة الكردان الذهبى .

سادساً : لغة الكاتب بسيطة تعتمد على الانتقالات السريعة للجمل والعبارات والترابط الزمنى للحدث وليس الترابط فى الرد أو الجمل وبعضها البعض ولم يدخل الكاتب تيار الوعى وإنما

استعاض عن ذلك بإستخدام الرمز أحياناً والجمل الموحية أحياناً أخرى . تلك الجمل التي تعتمد على ذهن القارئ في استنتاج المعنى الذي يريده بمعنى أنه أشرك القارئ في التفكير أيضاً . والرمز هنا ليس في اللغة فربما هو في الحدث أو الشخصية ولكن اللغة بعامة عند نبيل شاهين تحتاج إلى تطوير وثقافة واهتمام أكثر بقواعد النحو والصرف والأسلوب فهناك كثير من العبارات الركيكة الضعيفة منتشرة في القصص .

ولكن تبقى المجموعة القصصية " طائر طروب " لنبيل شاهين جهداً أدبياً ملموس في مجال القصة القصيرة نرجو له التطور والنموذجية وأن يكون للكاتب مكانته المتميزة في الأدب المصري المعاصر .

صلاح عبد الحافظ

الإسكندرية أول أغسطس ١٩٩٤

طائر طروب

وقفت مقيدا " أغلال اللهفة عليه تحجزنى " المجهول السحيق يرنحنى .

حطمت خوفى . تحركت خطوة . تحرك خطوات

أصبح على حافة الشرفة مباشرة

قذفت له زوجتى ببعض الطعام لتغريه عن حتفة .

هوى . قدره .

أخذ كل كيانى معه . قدرى .

توقف تفكيرى . صرخة من الأعماق تحولت عند كبتها إلى حركة

سريعة فى قدمى . أنهتها زفرة

فى لمح البصر كنت فتحت الباب وقذفت بنفسى حوالى سبع درجات أنتزعها

من درجات منزلى .

أردت أن أصل من سابع دور إلى الشارع أسفل الشرفة . قبله .

مباراة بينى وبين جاذبيته الأرضية فهو منزوع الريش منذ اشتريته .

لكنه ربح ولمس أرض الشـارع قـبلـى . وخـسـرته أنا. لأول مـرة يرتفع بجناحية طيرا .

كنت دائماً أقول جناحاك فقط يذكرانى أنك طائر .

وهما كديكور فقط .

" كل ميسر لما خلق له " كانت إجابة الشيخ .

منذ عشر سنوات ومن وسط متناقضات كثيرة اشتريته .

من الهند بلاد الأعاجيب نقيض كل شئ تجده هناك .

الكوبرا المستأنسة - القرد الذى يسرق الإنسـان .

البقرة التى تُعبد . المطر هناك صيفا .

ماؤه الذى غمر كل جسدى . عندما رأيته " ميتو " إنه اسم

ببغائى الهندى المتحدث عاش معى منذ عشر سنوات .

هوى إلى الأرض منذ لحظات .

بعد أن شارك أسرتى فى كل شئ . (طعام - شراب)

أصبح ابنى الثالث .

الكل يحافظ عليه .

حازم ابنى الصغير يحنو عليه يشترى له قصب السكر ليراه وهو يمصه

بصوت مسموع مثل الإنسان .

تامر الأكبر يطمئن على مياه شربه . ونظافة مسكنه .

فهو جزء من مسكننا .

يصيح (ميتو) فرحا مناديا زوجتى باسمها ولكن بطريقته الببغاوية

نضحك جميعاً . نمرح سوياً .

أصبح جزءاً من عالمنا . أعطيناه الأمان .

تلاشى وضعه كطائر . أصبح أقرب إلينا من بشر كثيرين .

خرج من القفص لم يطير . فضلنا عن كل العالم .

سألنى حازم مرة . هل تحب « ميتو » مثلى يا بابا ؟؟؟

أحببته إنه يشاركنا فى كل شئ فلماذا نبخل عليه بأى شئ .

لم أبخل على الدكتور البيطرى عندما طلب منى ٧ جنيهات أجر للكشف عليه .

تمنيت أن يأخذ أكثر ليعطينا ما هو أثمن .

ذهب تامر ليحضر الدواء من الصيدلية .

لهفته سبقت صعوده لدرجات المنزل ليصل إلى « ميتو »

ويعطيه الدواء بغرض الشفاء .

وهل الشفاء من الدواء ؟؟؟ كانت إجابتى لتامر .

كان نادر أخى فى زيارتنا لم ينجب وعمره أكثر من أربعين عاماً .

صاح فى تامر كل هذا للببغاء .

المنزل كله مقلوبا رأساً على عقب من أجل هذا الطير .

أمك حزينة .

أبوك مهموم .

حتى حازم رد السلام مع الهدايا بلا اهتمام .

أجابه تامر يا عمى ماذا تفعل لو مرض ابن لك ؟

سرح نادر بعيداً أبعد من الهند وغاب عنا ولم يرد .

تنبه تامر لإيلام عمه

تنهد نادر رداً على أسف تامر لسؤاله .

قـائلاً إنى أتعـجب كيف تسـتـحملون كل مـتـاعب هذه الرعـاية ووجع الدما غ هذا - لماذا ؟

محركا يديه التى اصطدمت بقفص الببغاء .

تحفز " ميتو " ليعضه رغم مرضة .

فى ميعاد الدواء أدخلت يدى فى القفص . نظر إلى " ميتو " .

بعينين . بهما مزيج من الضعف والاستغاثة .

مستسلما لى . كطفل فى حضن أبية .

رفعته من القفص . ووضعت زوجتى الدواء بين منقاريه .

حيث فتحهما عندما أحس بيديها الحانيتين .

بينما حازم يربت على بقية جسده بحنان طفولى وعينيه بهما .

بداية لدموع يقاومها .

الكل يحاول محاربة شبح الموت عن " ميتو "

سمعت أخى نادر قبل أن يصفع باب الشقة .

يلقى بنصف تحية الانصراف .

لم يبالى أحد به .

الكل مع " ميتو "

سألنى تامر لماذا لم ينجب عمى ؟

تجاهلت سؤاله حيث كنت أضع ميتو فى منزله

لم ترد زوجتى فهى مشغوله برفع زجاجات الدواء .

وحازم يساعدها فى نظافة المكان .

كرر تامر سؤاله .

أجبته بعفوية دون تفكير منى أوفهم منه

(كل يُسر لما خلق له)

الرحلـــة

خيوط لصورة بمفردها لا تمثل شيئا .

فى جملتها عظام صغيرة منسوجة بيد ناسج قدير مرصوصة .

فى طولها عامود فقرى .

باهتة اللون .

الأبخرة والدخان اختلطت بها .

هكذا رآها حمدى من خلال مبخرة زوجته .

كلماتها بَعُدت .

صوتها وهن .. تاه حمدى معها .

شَفَتَى دكتور الأشعة تصفع أذنى حمدى .

صدى صوته يعلو . تجسم فوق الدخان .

لابد من عملية جراحية حتى نمنع زيادة تآكل الفقرات .

هل العملية تتكلف كثيراً ؟

مطرقة حديدية هوت على ظهر حمدى .

استند على إحدى أعمدة الكهرباء بالشارع .

انحناء العامود أيضاً أزاد من آلام ظهره .

وقف كثيراً لينتظر " الأوتوبيس " .

حين أقبل كان ممتلئا يئن . يتوجع الكل يتألم .

حاول عبد الله "عديل حمدى أن يخفف عنه مازحا" إن شاء الله قريبا ندوتك وكل الأصدقاء والنقاد يحضرون ستصبح عريس ثانية .

ابتسم حمدى مقاوما اكتئابه .

انفرجت أسارير زوجته عندما رأته سعيداً .

أكملت فوران دخان المبخرة بإضافة حفنة أخرى .

تنهدت أم حمدى قبل خروجها قائلة " لا تهرب منى اليوم بادعائك المرض ،

سأغطى على يا أبو على وأحضر فوراً .

فى الصباح قبله علىّ على وجنتيه .

استيقظ حمدى . ولكنه أغمض عينيه مماطلا بإبنه ليستزيد من قبلاته .

ابتسما .

أخذه بين ذراعيه . ضمه بشده . أحس به يمتزج بكل كيانه حتى بعاموده الفقرى .

بابا الرحلة يوم الجمعة " أعطني النقود لأدفعها " اليوم آخر ميعاد للدفع .

يا على ممكن تدفع فى أى وقت فالأيام كثيرة يا بني . وعلى أى حال " خذ كل النقود الموجودة فى جيبى الآن ولا تنزعج " .

قبله شاكراً محاولاً الخروج .

يا على .. ممكن أحضر أنا وأمك " لانى نفسى أغير جو . وأعمل رحلة " .

سأسألهم فى المدرسة يا أبى .! ؟

شرب حمدى قهوته بعد الافطار . قام متكاسلا ليرتدى ثياب الخروج . تثاءب أعادها ثانية إلى دولابه . فتح المذياع بعد أن تمدد على سريره . سعت إليه البهجة من أغنيه المذياع .

عبرت وجدانه مباشرة .

دندن بكلماتها " الدنيا غنوة نغمتها حلوة " .

حمدى .. أنت اتاخرت اليوم عن العمل ! ؟

نقل بهجته إلى زوجته حتى لا تذكره بالعمل بمنعها من الكلام بشفتيه اللتين أطبقتا على شفتيها تماما . فاغلقت النشوة عينيها وأذابتها بعطره .

" اليوم لابد أن يكون الخميس يا حمدى وأظن أننا بالليل .

كانت الجملة مزيجا من الأنوثة والهمهمة صادرة من حبيبة أكثر من زوجة .

أبدا يا سنية اليوم الأربعاء ونحن فى الصباح ولكنى أردت أن أعمل اليوم عمل الغد أريدك دائماً معى . كلنا يحتاج الآخر وليس بمفرده ....

عاودته آلام ظهره .

احتدم النقاش بين النقاش الناقد وحمدى المبدع .

ردد أكثر من مرة " أننا لابد أن نضيف لمن سبقونا . لا أن نبتر ونبدأ من جديد .

" فالوقت قصير " .

تعلق بصر حمدى بلوحة قديمة مثبته على الجدار لأرض خضراء على جانبى النيل .

لم يحس أثناء ذلك بآلام عاموده الفقرى .

انحاز بعض أعضاء الندوة لحمدى ومعظمهم للنقاش . زاد الصخب . ارتفعت الأصوات .

اختلطت تحولت إلى صراخ .

زادت آلام عاموده الفقرى .

انصرف كل من فى الندوة .

تركوا الهدوء للساعى والقاعة لينظفها من اعقاب التبغ .

ردد بعض العبارات التى سمعها (الاقتصاد عامود لكل شئ حتى الثقافة) .

صوته يخبو تماما عند بعض الكلمات لعدم فهمها .

نظف القاعة .

أعدت «أم على» البخور . وضعته على الموقد كعادتها . دخانه ملأ المكان .

في جملته عظام صغيرة منسوجة كأنها لأشعة . ذهبت إلى زوجها لتوقظه رأته وهو يبتسم لها . نادت عليه لم يجب . هزته لم يستجب .

لم تصدق عينيها . انفلتت من شفتيها صرخة مدوية فيها رائحته .

سمعها ابنها "على " وهو صاعد درجات السلم ازادت سرعته .

رأى أمة فى حالة يرثى لها . حاول أن يكلمها يخرجها من حالتها .

أخبرها بتأجيل رحلته إلى الهرم .

راحت تهذى " أبوك قام بها بمفرده " .

توالت صرخاتها .

ازدادت سرعة دخان البخور وهو يتصاعد ويتسرب سريعاً من باب النافذة . مختلطا برذاذ ماء النيل وعبق الهرم . كخيط لصورة بمفردها لا تمثل شيئاً .

السباق

تبادلت أرجله الأربع السباق .

كل تحاول أن تلحق بالأخرى كأنها بمفردها .

أيقا ع الأرجل منفردة تعزف سيمفونيه رتيبة .

لكزه (قائده) على جرحة الذى لم يلتئم بعد .

نزف من جديد .

الكارته تسير بحملها .

أنهكتها الشوارع .

الجرح والحمولة زادا آناته .

مازال " شهاب " قادرا على جرهما .

يضربه صاحبه ثانية ليجبرة على الإسرا ع بالعربة .

يغربة بكلماته الناعمة اللهجة البغيضة المضمون

شهاب حماره الذى يفهمه .

يعترض مجاهد بلسانه محاولا منع السائق من سوء معاملته لحماره .

– هل عندك طريقة للإسرا ع بغير ذلك ؟ كانت إجابة السائق لمجاهد ومن معه بالكارته .

– لابد أن يجرى ليزداد الدخل ويمكننى من أن أزيد غذائه .

دائرة حدوة الحمار تجسم الصوت عند ارتطامها بالأسفلت .

– كيف ذلك !! طبيبة أولاً .

– أنى أفعل كل شئ له . هو الأهم حتى منى . إنه مصدر رزقى .

تصور يا أستاذ أنى أضع كل العشب الأخضر على جرحه ولم تلتئم الجرح بعد . يريد المزيد .

أجابه مجاهد :

– لابد أن يأخذ وقتاً . كل شئ يحتاج إلى وقت .

قاطعة (السائق) قبل أن يكمل حديثه .

– لا تخف إنه قوى التحمل ولا يبالى .

وهذا ليس الجرح الأوحد .

سمعهم فزادت خطواته التى أزادت هزات العربة .

دغدغت الهزات حروف الكلام عند مجاهد فأصبحت متقطعه ، غير واضحة .

– ل . ما . ذا . لا تريحه قليلاً ؟

يا بية كيف أريحة . والطريق طويل . سنتأخر .

اعتصرت كلمته الأخيرة قلب مجاهد . أحزنته .

غاب بعيداً مع خطوات الحمار . دهسته في مكتبه الضيق بالمحكمة بين الأوراق ، الدوسيهات تملأ الفراغ .

الطابور الطويل يأخذ الباقى .

عرقة يزداد كلما أوغلت ساعات النهار بلا فائدة .

– من فضلك أعطنى حكم المحكمة بزراعة الأرض .

– يقاطعة الثانى أعطنى صورة الحكم باصلاح المنزل .

– ترد الثالثة صورة زيادة النفقة الله يخليك .

تتداخل العبارات . تطن أذناه .

أنين معدته يذكره بأنه لم يفطر حتى الأن ولم يتعش بالأمس . الجوع . الحر .

الإرهاق سوياً بالمطرقة انهالوا على رأسه .

مصاريف ابنته . فاتورة الكهرباء . وصل الأيجار .

مطرقة ثانية وثالثة .

خففت من طرقاتها انخفاض سرعة (الكارته) التى فتحت عينيه .

رأى شهاب يحاول فى عناء أن يصعد مرتفعاً اسفلتيا .

بمهارة المحترف وإحساسه بالخطر قفز السائق من الكارته لى العجلة القريبة منه يحاول دفعها .

اتساع دائرة العجلة أخرجت من مسامه كل العرق .

تهاوت أرجل شهاب تحت جسده . قفز مجاهد رافعاً أولاده بعيداً عن الخطر .

لم ير زوجته إلا بعد أن أحضرت حجر لتمنع رجوع العربة إلى الخلف .

انتشر الأولاد حول العربة محاولين دفعها .

جاهد مع السائق فى رفع شهاب عن الأرض . أوقفوه ثانية . نهق باعتزاز والكل حوله .

وقف ببطء . تحرك إلى الأمام .

ازدادت خطواته .

باللجام أمسكوا به محاولين إيقافه .

بسرعة جرى السائق خلفه . يتبعه مجاهد وزوجته .

ازدادت سرعة شهاب .

الأولاد يجرون ممسكون باللجام . شهاب يجرهم .

قبضة يد زوجة مجاهد تقلل من سرعته .

الكل يجرى خلف شهاب .

ابتسمت زوجة مجاهد .

نظر إليها . عاتبتها عيناه . انفرجت شفتاه عن ضحكة .

كامنة أزادت سرعتهم .

قهقة الأولاد أضحكت كل من بالشارع .

فجأة توقف شهاب عن الجرى .

نظر إلى جرحه .

أعاد نظره إلى كل من بالخلف .

نهيقة . قهقة عالية .

قفز . جرى .

تبادلت أرجله الأربع السباق . كل تحاول أن تلحق بالأخرى .

أرجلهم أيضاً معه .

توحد إيقاع الأقدام

فتحت دائرة حدوته .

الحيـــة

دق بحرفية . متناثرون هم كل يعمل فى جزء

من داخل لباسه المزركش أخرج لسانه قائلا للريس أنور . يوجد بداخل ورشتك (حية) انتفضت أسارير أنور وارتدت نبرات صوته التعجب وهو يسأل الدرويش كيف عرفت ؟

أجابة بجدية ، شممت الرائحة .

ولكنى لا أشم شيئا

أسكته تعاظم نظرة الدرويش له .

ومن بين دوائر ورقع كثيرة بجلباب الدرويش وقع بصر أنور على مثلثين متداخلين أزاد من اشمئزازه وأيضا عقد يتدلى ليزين اتساخ جلباب الدرويش .

توقف الحرفيون عن العمل والدق .

التم الصبية الصغار بالحارة وتركوا لهوهم .

تجمع المارة ،

فجأة أصبحت ورشة الاسطى أنور محل الاهتمام ومكان الصدارة قال أحدهم « أنى أغير ملابسى كل يوم بالورشة ولا أرى شيئاً رد عليه آخر « إنك لا تراها إلا إذا لدغتك» .

سألهم طفل صغير من الملتمين خارج الورشة مشيرا إلى جرح في يده هل هذه لدغتها ؟

أجابوه معا هل تحس بألم الآن ؟

أومأ بأصبعه نافيا

ضحكوا قائلين « إذا احسست بالألم بعد فترة تأكد أنها لدغتك وإذا لم تحس فالعيب فيك .

نفس اللدغة أحس بها أنور عندما سمح للدرويش بدخول ورشته لإخراج الحية .

زحفت يدا الدرويش متحركتان برسم مثلثين مقلوبين متداخلين يتبعهما ترنيمات

يحتقن وجهه . يتمتم . يعلو صوته . يخفضه فجأة .

السكون بين العلو والانخفاض يبهر الناس حوله يسيطر عليهم يسكت حواسهم يصيبهم . يجرح السكوت صفير الدرويش دون رد .

مرة يتبعها مرات

انبهر الجميع عندما . أصبح الصغير متبادل بين الشئ الخفى والدرويش صرخ الدرويش ، سأوذيك ، اظهرى وإلا .. اظهرى .

زاد الفحيح ظهر لسان رفيع يتدلى من رأس غليظ مخيف تحركت إليه كأنه يشدها . أمسكها من قرب رأسها . بقوة صارمة .

عندما تحرك خطوة إلى الخارج ، خاف الجميع تحركوا خطوات .

أصبحوا يخشونه . الكل من الخوف يهابونه مارد هو فى نظرهم ، أصبحوا يخطبون وده بعضهم يؤكد للأخر بصوت خفيض إنها إحدى حياته الموجوده بجرابه الطويل ، إنه يخدعنا تحركت يد الدرويش ببطء وضعها مع أخوتها ، يتدلى الجراب من رقبته وهو يتحرك إلى خارج الورشة يطلب ثمن عمله وبسخاء وإلا أعاد الحية إلى كل الحى .

بدأ الناس أيضاً فى تجميع النقود له ، إزداد ما جمعوه بعد أن هددهم بترك الحيات كلها تسكن بيوتهم .

مد الدرويش يده ليأخذ العطاء حتى من الطفل الصغير المجروح .

امتنع الصغير ، وقذفه بالحجارة

ردد مع كل حجر « إنك أخطر من حياتك .

الشجار

حركات يديها - تلوى أصبعيها - احتكاك أساورها الذهبية من كثرة الحركة لم يمنع القذائف المنبعثة من لسانها الذى نغم حتى القبح .

كل هذا آدمى آذان حياء الجيران المطلين والمهرولين ليعرفوا سبب الشتائم والقبائح التى تقذفنى بها أم هلال والتي لم يفلت من لسانها كل من وقعت عليه عيناها حتي ابنها هلال هكذا ظننت فهوايتها المفضلة الشجار بالالفاظ النابية .

دائما تردد (الهجوم هو الدفاع بعينيه) لتأديب من أريد .

رأيت امتعاض الناس وحنقهم عليها شجعنى ، لم أتمالك نفسى وبالرغم من ضآلة جسدى هويت على صدغها بكل قوة أخرستها ، حبست قوتها فى حلقها هرول الناس نحونا ، تباروا فى الوصول الينا ، تعالت الأصوات ومن نوافذ الحارة تحركت قبضات الجيران ملوحه .

جرى الأولاد ذو القامات القصيرة إلينا - فرحت كلهم معى ، سنؤدب الطاغية غمرنى السرور .

كل هؤلاء يعانون من أم هلال ، سيقتصون منها لى ، لقد فتحت لهم الباب .

تقاذفتنى الأيدى - وقعت على الأرض - أرجل كثيرة تركلنى ، ألسنة أكبر من لسانها تلدغنى ، صفعات على صدغى - طُردت من الحارة

الكثرة تتودد لأم هلال ، تطيب خاطرها ، تحاول ارضاءها ، تزجرهم هى يعلو صوتها ثانية ، أفقت .

يد صغيرة تربت على كتفى ، نظرت نحوها ، أنها يد هلال . انسكبت الدموع من مقلتى .

الصعود إلى ما لا نهاية

لم تحرقه بالرغم من دخانها المتلاطم الصاعد الى مالا نهاية .

مرورها على السروال الرسمى ، فردته .

مكواته هى كل ممتلكاته فى هذا العالم ، سلاحه يبرزه فيفرد به كل معوج .

لبسه الزى الرسمى المفروض أمامه فتاه بفكره .

أزراره النحاسية البراقة مع أصبع مرتديها ، الكل يهتز يتشنج يشير إليه ، يؤكد أنه الجانى مغتصب الفتاه « نعيمة » عيون فاروق ابن التاجر الكبير يغطيها زجاج سيارته الأمريكية الفارهة التى تنفى عنه التهم حركة مساحات زجاجه عندما يريد .

بدانة محسب التى غطت على اتهامه بكل كرشه البارز .

فحتى السمنة تُورث ، فأبوه منتفخ برشاوى المساكين كذلك فخامة حديث جمال ، أوتاره الرنانة التى يسحر بها السامعين تذوب وتتلاشى بمجرد أن تتركه .

قرع أجوف طنان ، عندما يصبه فى أذنيها يحمله الهواء بعيداً ولا يبقيه .

هكذا حكت لى الفتاة الريانة عندما جاءت الى دكانى لتأخذ الكواء .

لم نتسامر كثيراً

ولم تمكث لتشهد عقرب ساعتى الكبير فى دورته الرابعة .

خرجت بخطوات مسرعة .

واسألوا العقرب الكبير ، صراعه معها ، هذه إجابتى يا سيدى المحقق .

تقول سيادتك إنها لم يرها أحد عندما خرجت من عندى .

كل الحى يرى وكلهم يســـمـــعــون ، ولكن عندمـــا يريدون فمصلحتهم أولا وأخيراً .

سيدى المحقق لماذا تتهمنى أنا بالذات باغتصابها .

انها تتعامل معهم كلهم .

جمالها يراه الجميع .

نضارة جسدها يشدهم كلهم .

الكل يريدها يشتهيها لنفسه .

ولكنى أنا الذى أحبها لشخصها ، فأنا منها .

تريد شهوداً .

انظر فى حدقتى عينيها فسوف ترانى داخل قلبها أسكن مع نبضاته .

إنها تنظر للجميع ولكن زاويتها المتسعة الضلعين تحتويني عاطفتي الصادقة تؤثر فيها ، فأنت لا تعلم يا سيدى عمق عاطفة الفقراء .

يد محسب المكتنزة مهما ملست عليها أفرزتها عرقا .

سيارة فاروق تراها تابوتا .

عذوبة حديث جمال رفعتها إلى القمة ، سكت فسقطت إلى الهاوية .

هكذا همست لى فى لحظة صفاء .

تذكرتها فى زنزانتى عندما انسكب ضوء زاحف واه على بقايا الجريدة التي كفنوا بها سندوتشى جاهدت عينايا الظلام ، فرأت الأحياء تسكن مع الأموات ، منع سفر الموظفين العاطلين لأهميتهم ، كرسى لكل أربعة فى المصالح الحكومية . زيادة مرتبات الشباب خريج الجامعة جنيهان لتصبح ٦٧ .

ربطَنا الحارس بقيد حديدى مع زميل آخر دفعنا فى سيارة الترحيل المملوءة بأمثالنا ، أخذتنا بعيداً الكل يهذى لم أسمع بوضوح إلا زميل القيد صوته يعلو «أنا مظلوم » والله مظلوم العمارة انهارت ، نعم انهارت لكن لغش المقاول فى الاسمنت .

أبلغت رئيسى مجلس الإدارة أكثر من مرة ، كتبت لرئيسى المباشر ، ماذا بيدى أكثر من ذلك " .

نظرت إلى يده وجدت قيدنا الحديدى ضحكت "شر البلية ما يضحك " .

قالتها أكثر من مرة نعيمة .

ألمنى قيدى .

قيدها أشمل . عم كل نفسى .

يا ترى هل ستؤيد اتهامهم لى ؟ ؟

هل أراها اليوم ؟

هل سيحضرونها فى حفلة خيلائهم التى تسمى الجلسة .

أفاقتنى لكزة من عصا الحارس الغليظة لأغادر السيارة .

وثبت مع زميل القيد إلى أسفل . دخلت .

القاعة رهيبة ، يملؤها المتهمون فهم أكثر من الحاضرين .

القضاه لا ينظرون إلا فى أوراقهم الكثيرة .

لم أسمع شيئاً بالرغم من صخب القاعة .

صاحب الزى الرسمى يجلجلها .

لدغات ثعبانه الذى يخفيه فى فمه أدمت مكان قيدى أطبقت علىّ .

صوته يعلو . ويعلو . يشير إلينا .

لا أرى أحدا ، لا أسمع شيئاً ، كيانى كله يتجمع ليبحث عنها .

أريد أن أراها أحتمى بها .

أخيراً وجدتها ، نعم . إنها تجلس بوداعتها المحببة توزع نظراتها بين الجميع .

القضاه ، صاحب الزى الرسمى ، الحاضرين .

تنظر إلى ما خلف القضاة ، تطيل النظر .

فجأة تحرك رأسها ، تتلاقى عيوننا ، بعيداً نهرب عن دوران العقرب الكبير .

كيانى كله معها . تجمع كنبضة . توحدت صوب حدقتى عينيها .

دموعنا تتساقط ، يتلاطم ما فى صدورنا

يصعد ويصعد إلى مالا نهاية .

دموع إخصـــاب - توت

أرجحة ، اهتزازه ، صور ولوحات طبيعية ، الخضرة ، الزرقة ، الصفار .

حقول صغيرة خضراء ، بجانبها رمال كثيرة صفراء .

إطارها تحدده نافذة القطار السريع العائد من أسوان و الأقصر .

سبق فضولى القطار .

سألت جارتى الأجنبية من الفوج العائد معى من رحلته بالفندق العائم توت السابع من الأقصر الى أسوان .

قاطعاً لسكونها وتأملها .

« سيفى » هل هذه الطبيعة وهذا الدفء له وجود عندكم فى مثل هذا الوقت من العام ؟

وعندما هممت بالرد لم أعطها الفرصة وفاجأتها بسؤالى الثانى بنبرة فيها كل اعتزاز وثقة الأحفاد .

هل أعجبتك آثارنا فى حضن الحياة الساكنة ، الهادئة لأهل الصعيد ؟

امتزج صوتى بضجيج عجلات القطار فطحنه ، فلم يصل إليها ،

جاهدت فى رفع صوتى فوق العجلات ، فطحنتها ، فسرى فى أذنيها .

تنبهت مجموعة السواح التى بجوارنا فنظروا نحونا .

علو صوت آلات القطار وسرعته لم يمكنهم من اللحاق بنا فانصرفوا عنا واحداً يلى الأخر ليلتهموا غذائهم المعد من قبل بالباخرة توت .

ومن خلال ابتسامتها المرحة نفت مجيبة لنصف سؤالى الأول محتضنة الهواء بين ذراعيها باستمتاع Lovly (لفلى) لنصف سؤالى الثانى .

حركة يديها شدت عينى الطفل الصغير من حجر أمه . ملؤها الاستغراب !!

تساقطت الكلمات من شفتيها .

كيف تكونون أول من حفظ الجثث ألوف السنين ولا تقدرون على الاحتفاظ بإطعام أنفسكم الآن ؟

تلوثون الخبز بعرضه فى الطرقات ، بينما تحتفظون بالأحذية فى الفتارين .

تعيشون فى المقابر وتتركون الصحراء جرداء .

اخترقت أسهم أسئلتها جدار عقلى فجرحت كبرياء أجدادى .

بالأمس فى حفلة الجلباب Galabeya Party كانت تمثل زوجة توت عنخ آمـون وتشعر بسـعادة غامرة لمجـرد الإنتمـاء إليه ولو فى التمثيل .

ثم رقصت كعالمة "محترفة" والآن تمسك مشرط الجراح كعالمة .

لم أنس يوم أن عرفنى بها زوجها عند زيارة الفوج للمعيد .

تأملتـها .. لم تعـرنى اهتـمـامـاً انصب كل اهتـمـامـها باله الإخصاب .

تعلقت عيون السائحات وخاصة سيفى بفحولة أداة رجولته الفاضحة .

ابتسمت .

انصبت فى أذنى موسيقى تتسرب من مذياع قريب سكتت ، تبعتها كلمتان :

لا تستعملى اللولب .

أنهى قطارى لف دائرة كاملة حول رمال صفراء .

فى المساء أقامت الباخرة حفلا لوداع الفوج ، طلب زوجها أن أراقصها علت الابتسامة وجهه معجبا عندما رآنى مذهولا حيث تسمرت عيناى على زيها إنها لا ترتدى شيئاً غير حلقات معدنية

ذهبية اللون يربطها ببعضـها رباط واه يكشف ما بين الحلقات حيث يطل لحمها المكتنز بلا كساء داخلي ، ليكشف أكثر مما يخبئ .

فـجـأة قـذفنى بعـيداً عن مـلاصـقـة « سـيفـى » توقـفت إحـدى الماكينات الثلاث الدافعة للباخرة فقلت السرعة وأبطأت الموسيقى .

قطارى أبطأ أيضاً من سرعته عند دخوله منحنيات القاهرة .

بكى الطفل المقابل لنا بشدة ، ازداد عويله .

علا صراخه ، ما زالت أمه تحاول أن تهدجه .

نظرت « سيفى » إلى أمه ملتاعة محدثة إياها بلغـة أجنبيـة ، « إنه جوعان » .

لم تفهم أم الطفل لغتها .

ظلت كما هـى .

ازداد عـويل الطفل وصـراخـه ، امـتـزجت دمـوع توت بـآله الإخـصـاب . حـاولت إفـهـام الأم . اخـتلطت الأصـوات بالأرجـحـة بالإهتزاز ، بضجيج العجلات .

الكـــردان الذهــب

اهتـزاز الحـافلة من كثـرة المطبـات لامسـت أجسـاد الركـاب ببعضهم امتزجت الكلمات ولكن حروفها الأخيرة غير واضحة المعنى .

نعم ارتفع سـعر علبة السـجائر « الكنت » فأصبحت بخمس جنيهـات . أنا أشـتريتـهـا قبل أن أركب الأتوبيس ، الآن البـائع نصحنى أن أشترى كرتونة أفضل من علبة لأنها سترتفع حتما غداً .

تذاكر يا أستاذ .. بكم التذكرة اليوم يا كمسارى ؟

مـثل الأمس يا أستاذ ، من فضلك اعطنى ثمن التذكرة لأنى مشغول زى مـا أنت شـايف ، أكد كلامـه بالنقر على حـاملة تذاكره الخشبية بشدة ، انتبه قارئ الجريدة تاركا إياها ولكنها معه يجترها انخفض سـعر الدينار الكويتى ، الأسلحة كلهـا أمريكية ، (أوانى مستطرقة) .

تاه . تثاءب ، أخلد لوجومه .

قال الاستـاذ خذ يا كمسـارى واحدة « كنت » وهات التذكرة والباقى .

قهقه المعلم « جابر » فاهتز كرشه عدة مرات .

تنـاثرت كلماته الغليظة ووقعت على من حـوله من الراكبـين ، « والنبي بكره لأزيد ثمن اللحمة ما دامت السجائر زادت .»

رد عليه شاب ليس له مقعد واقف خلف زجاج نظارته الطبية ، وما علاقة زيادة ثمن السجائر باللحمة يا معلم .

ومن قال لك أني أبيع اللحم ؟ أنا أبيع أهم من البترول .

كمان قولى ما علاقة آبار البترول فى الشرق بسجاير الكنت فى الغرب ، وكمان ضريبة الانتاج بغلو محشى أم عواطف فى حارتنا ياعم صلى دا هو الباسط رافعاً يده إلى السماء .

والنبى يا ست أم محاسن الولد سرحان أخذ منى عشرة جنيه بالعافية "ولما عاتبته أجاب حتى السجاير غليت يا حاجة " .

وكل مرة يطلب منى الفلوس أشوفه يمسح تحت مناخيره إلى بتوسع مش عارفة إزاى .

ابتسمت الست أم محاسن الجالسة بجانبها قائلة هو المهم السجاير ولا الأكل هو احنا حناكل سجاير

أزاد الشيخ الضرير من هزاته الأوتوماتيكية للخلف والأمام وهو يحرك عصاه فى حركة إيقاعية مردداً لحمة ، سجاير ، تذاكر الكل زاد والدينار قل ، واحنا بكرة برده نزوده .

أين اللحمة إنى لم أسمع عنها حتى فى الأفراح ، أين أفراح زمان التى يشارك فيها الشيخ الصغير ، قبل الكبير ، أيام !!

لم يكن ينام أحد بدون عشاء .

سكت وأزاد من سرعة هزاته .

عندما فرمل السائق : فجأة احتبست الأصوات لمرور سيارة كبيرة فارهة بها رجل مكتنز يسكنها بمفرده داس بعينيه على ساكنى قبور المجاورين لشارع الدراسة .

لحمة . فرح يا عم خليل تجى نطلب من الشيخ الجالس هناك يعزمنا .

هو احنا نعرفه يا عثمان علشان يعزمنا " رد عليهم الواقف بجانب مقعدهم" يعزمكم كيف ؟ هو عنده حفلة ده بيترحم على أيام زمان وعاوز اللى يعزمه الآن .

ردت عجوز متصابية ينساب أحمر الشفايف ليمتزج بكلماتها ، كل شئ بيغلا إلا الستات بترخص " .

أثارت هذه الكلمات إحدى السيدات فردت عليها بانفعال" اللى يحب يرخص نفسه هو اللى بيرخص وده من عمله " .

غادر الأوتوبيس إحدى محطاته ولم ينزل أحد ، وصعد أناس فملأوا كل الفراغ .

صاح الكمسارى اللى على الباب يدخل جوه وكله يحرص على جيبه ، ومن لم يدفع ثمن التذكرة يدفعها الآن . !!

تلاطمت أجساد البشر بعضهم ببعض . وخاصة عند الباب .

بعضهم يحاول الاقتراب منه والآخرون يحاولون الولوج إلى الداخل ، فجأة انتبه الجميع على صرخة عالية ارتفعت فوق كل الضوضاء جعلت كل أنظار الركاب تتلفت باحثة عن مصدرها .

« الكردان الذهب » تحويشة عمري " اتسرقت " اتسرقت تكررت هذه الجملة مرة ومرات حدث هرج ومرج .

حاول السائق أن يقفل أبواب حدوده في حينه ولكن هيهات .

تعالى الصياح اختلت الكلمات كل يحاول أن يتجسس جيبه ، ازداد الهرج والمرج الكل يتكلم في نفس واحد ، لا أحد يستمع إلى الآخر كل خائف على ممتلكاته .

قبض الشيخ الضرير على عصاته فهي أغلى ممتلكاته أزاد من مزاته الأوتوماتيكية .

صاحت الست أم محاسن الجالسة بالقرب من الباب الخلفي : أنا شفتهم أكثر من واحد نزلوا حتى والاوتوبيس بسرعته . (أكيد هما الحرامية .. ومش بس واحد) أمسكوهم أهم .

مشيرة بأصابعها الى فراغ الشارع .

زاد الهرج والمرج ، كل العيون ثقبت نوافذ الأوتوبيس لتراهم ، تحاول ان تلحق بهم بالنظرات والكلمات .

حرامي .. حرامي .. امسك يا جدع .

لحت أم سرحان أحدهم . احمرت عيناها ، تسابقت الدموع على خديها ، حاولت جاهدة .

أن تحبس تشنجات صوتها حتى عن جارتها أم محاسن . ولكن فضحها صوتها عندما سألتها أم محاسن مش هو ده سرحان ابنك اللي بيجرى في الأول؟ ده الى بيشتغل فى العراق .

نفت أم سرحان بشدة .. ولكن ازداد نحيبها .

أمسك صاحب زجاج النظارة الطبية بالمعلم من جلبابه محاولا صفعة ، أنتم السبب أغريتم الشباب ، وأخذتوا كل شئ ومنعتوه من كل شئ .

دفعه المعلم جابر فوقعت نظارته الطبية ، داستها أقدام الزحام لم ير أحد ، سمع أصواتا كثيرة لم يميزها ابتلعت القهقهة العنترية لعم جابر كل الأصوات إلا صوت أم محاسن كان واضح النبرات ، اعتبري شبكة سرحان ابنك من بنتي محاسن كأن لم تكن .

ازداد نحيب أم سرحان وهي تهذى ، أنا لم أبخل عليه بأى شئ ساعدته ، علمته ، كبرته ولما اشتد عوده أصبح يتصرف من نفسه ، أدمن ، اغتر ، اعتدى .

هو ما سرقش الكردان الذهب دا خدوا بس لأنه يشبه كردان جدته « اتهيألوا إنه ملكه مين قالها تلبس كردان زى كردان جدته !!؟؟ العيب منها مش من سرحان » .

انخفض صوتها عن ما قبل ، كلما رددت جملتها السابقة حتى أصبح همسا ، كرهت كل الناس التى ساعدتها فى البحث عن اللص .

مد الرجل الضرير يده يتحسس شيئاً لامسته عصاه وأكده قدمه .

إنها النظارة الطبية ، حاول اعطاءها للشاب الذى بح صوته معلنا فقدها .

أخذها منه شاكراً .

وضعها على عينيه لم ير شيئاً ، انتزعها لم يتغير شئ ، تحسسها إنها بلا زجاج .

قذف بها من النافذة .

اهتزت الحافلة .

تلامس أجساد الركاب ، اختلط كل شئ من المسروق ومن السارق .

امتزجت الكلمات على شفتى الضرير واختلطت المعانى ببعضها حتى حروفها الأخيرة غير واضحة المعنى .

الرخصـــة

تضافر تكابد السماء بالغيوم مع ارتعاشة ضوء الصباح فى انخداعى بمعرفة الوقت حيث نسيت ساعتى اللصيقة بمعصمى .

أسرعت الخطى بعد أن ألقيت بعض الطقوس الصباحية المعتاد على ممارستها لألحق بمهندس الترخيص بالحى .

اعتدت أن أذهب إليه ولا أصدم فقد تم ذلك أكثر من خمس مرات ولم أجده .. وبالرغم أنى أتأخر من عملى وأبذل كل ما أستطيع لأصل إليه فى مواعيد عمله الرسمية ، وفى كل مرة أجد حجة عند زملائه لتأخره فقد ذهب لمعاينة ورشة ، والأخرى خرج مع رئيسه المباشر فى مهمة عاجلة والثالثة ذهب لمقابلة مدير الحى .

وفى كل مرة أنا المخطئ لتأخرى لأنى لم يسعدنى الحظ بشرف مقابلته هكذا أفهمونى فى مبنى الحى .

أسرعت الخطى فى الطريق إلى المبنى كلما تذكرت هذا .

ومن طول الطريق لاح ظهور سارية المبنى الثعبانية من وسط المبانى الهرمية المحيطة به .

تمنت نفسى أن أراه ليس حبا فيه ولكن لأفهمه أن الورشة موجوده فعلا وأملكها ويمكنه رؤيتها ومعاينتها بنفسه فهى شئ ملموس واقع وعكس ماهو يدعى بأنها شقة سكنية حيث قام مأمور

اتحـاد الملاك بإثبـات ذلك عند اصـدار الـترخيص ليـهرب من دفع بعض النقود .

سبقت قدمي اليمنى اليسرى كلما تذكرت أني سوف أراه اليوم وأنهى معه كل شئ بعد طول عناء .

تحسست يدى اليمنى جيبى وبه النقود التى طلبها وأسماها هدية فقد طوعوا حتى الكلمات وجملوها .

مسحت عيناى مدخل القهوة أمـام الحى حيث كنت أصعد درجات المبنى ولم أرى مصيلحى الواسطة المشتركة بيننا .

عند الفاصل الزجاجى المثبت بخشب واه منعنى «الساعى» الواقف أمام الباب من الدخول .

أعطيته المعلوم تساقطت يده المانعة لدخولى ، فيدى الأقوى . أمام مكتبه تحركت يدى لتشير إلى جيبى المملوء بحركة تلقائية .

ابتسم هو للحظة ، بلع ابتسامته ، ظهر وجهه المكفهر ثانية ، سألته عن الاستاذ مصيلحى صديقنا المشترك لأطمئنه .

نهرنى بأسلوب مزيج من الاستحياء والتمثيل وفهمت منه لابد أن أمكث فى الخارج لانتظر مصيلحى وليس فى مكتبه الرسمى .

انتظرت فى الصالة الخارجية وسهام نظراتى تخترق الزجاج لترشق فى جسده حتى لا يتوه عنى ، وأنهى مأموريتى معه .

فجأة ظهر مصيلحى ، صافحنى ، تحركت شفتاه كثيراً . لم أفهم شيئاً وجدت يدى تتحرك لتعطيه الظرف المملوء بالنقود ، ابتسم تباعدت شفتاه نادى على مهندس الحى ، خرج إليه ، تحدثوا حديثاً هامساً . ابتسموا سوياً .

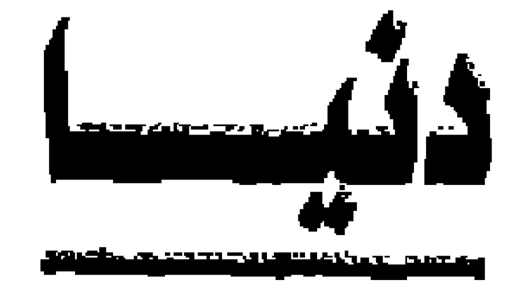
انفرجت أسارير المهندس بانت أسنانه الحاده ، رجانى الحضور غدا لاتسلم رخصة محلى ، لم أصدق نفسى فبعد سنتين ونصف واحضار أوراق ومستندات وامضاءات سأتسلمها كلها من ظرف مصيلحى .

صافحت مصيلحى بحراره ، غادرت المبنى وأنا فى قمة السرور . وضعت ما أحضرته .

« لقد تركها لك المهندس عصمت قبل أن يرحل أمس « الظاهر أنك ابن حلال » .

تحرك لساني دون اراده منى شاكراً ومحيياً ومتمنياً كل الخير .

تسابقت قدماى فى الدخول إلى الشارع . الذى يموج بالحركة حتى السماء غلبت زرقتها الغيوم ووضح ضوء الشمس . نظرت فى ساعتى أزدت الخطى لأصل إلى عملى دون تأخير . رددت نفسى أغنية المذياع « خايف أقول اللى فى قلبى ... »


دنيا

عندما رحل قرص الشمس بعيداً ، أسفت

تعانق صوت مخر الماء المنبعث من رفاص باخرتي مع ضوء القمر السابح فوق مياه البحر فعزفا لحنا ملأ صداه الكون كله أخذ لبي معه .

الليل بهدوئه وظلامه الذي عم السفينة تغلغل داخلي فأفرز حلقي تنهيدة طويلة .

وهناك بعيداً في الجانب الآخر من البحر والزمن صوت البروجي يشرخ جدار هدوء (الكلية البحرية) بنوبة صحيان عندما يقف العقرب الصغير على الخامسة ويهرب الكبير إلى الثانية عشرة .

الكل يصحو قاتلا لنصف موته

فالعقارب تتحكم في العالم .

كنت صغيراً طالبا بالكلية البحرية كل همي أن أتخرج وأصبح ضابطا لذلك لا بد أن أطيع الأوامر وأنصاع للأقدم مني وأنظم خطوتي مع خطوتهم في الطابور وضع «صفا» بالرغم اني لا أفهم معناه ولا فائدته فهو يبعد قدمي اليسرى عن اليمنى ويجعل يدي متشابكتان في الخلف في وضع غريب ، إلا أني انفذه حتى لا أحرم من الاجازة وأمنع عن رؤية «دنيا» حبي الأول .

ولماذا هي بالذات ؟ .

كانت نفسي تسألني .

أجابت أمي عندما كانت تنصح أختي الأكبر "الحب" الحلال يحتاج أن تغذيه ليكبر ، تراعيه لينمو .أما الحرام فهو ميت لا محالة قاتله الزمن .

لم أفهم كلامها في حينه .

عندما تخرجت من الكلية البحرية ووضعت نجمة على كتفي احسست أني أخذتها من السماء المملوءة بالنجوم .

وعندما منحتني السماء النجمة الثانية ذهبت إلى أسرة «دنيا» أطلب يدها رأيت وجهاً آخر لم أعتد عليه ، فمعبودتي الصغيرة ذات الوجه الطفولي والعينين الواسعتين اللتين تبحر فيهما بلا غرق كانت كلماتها مقتضبة وعيناها زائغتين .

أسلوبها اختلف احسست أنها تهرب من ذنب لم تقترفه .

أجابني والدها (بارك لدنيا فقد خطبت منذ يومين « خطبها » البلعوطي » التاجر الكبير . احسست بطنين مفزع ومطرقتين تهويان على رأسي فتكبر كلمة البلعوطي ، وتكبر وتملأ كل الفراغ . تهوى على أذني فلا أسمع (تبتلعني) .

كم تدفع مهراً ؟

كل الهدايا للأسرة دهب ٢٤؟ .

الشقة ٥ غرف ؟

نظرت في ساعتي لأهرب من أسئلة أبيها التي يغترفها من بئر مظلمة عميقة في سياق حديثه الذى يتباهي به فلا تملك أن ترفضه ولا ترضى أن تقبله « كل شئ أصبح له وجهان ولكن الحرام بيّن والحلال بيّن وبينهما متشابهات » .

اراحتني هذه الإجابة من شيخ غير معمم .

أفقت أثر لطمة لسفينتي من موجة عالية عندما حركت الدومان قاصداً الدخول إلي الميناء مغيراً لخط السير الأول .

فرح كل الطاقم ، ارتدوا أبهج الثياب للخروج إلي الميناء القروش هي التي تبقى دائماً بالبحر . كانت صيحة الباشريس (حسن) لي وهو يقفز سعيداً متجها إلي باب المرقص . الدخان يملأ المكان . الموسيقي صاخبة . الموائد حول المرقص مقاعدها نصف خالية تجلس عليها أشياء أصحابها غائبون يرقصون ضحكاتهم تتلون مع الضوء . شفتا حسن ركبها تغير الضوء فأصبحت بطيئة الحركة وقعت منها الكلمات " أنتم كلكم أحمر الآن أزرق لالا أخضر ،"

ضحكنا سوياً وجدنا ضالتنا مائدة صغيرة في نهاية الصالة .

أفرغت محتويات جيبي على المنضدة السجائر،المفتاح ، الساعة .

رقصت قدمي اليمنى بجانب اليسرى وأنا جالس بمقعدى ورأسى تتحرك مع الأنغام .

التقط رادار عينى « دنيا » التى جعلت رأسى تتسمر متمردة حتى على الأنغام .

تحركات قدماى اليسرى تسبق اليمنى ، طلبتها للرقص من وسط المجموعة التى تجلس معها .

خنق "دنيا" دخان سيجارتها تحركت أمامى دون عناء . لم أصدق نفسى غمرنى الفرح لم أشعر بالعالم توحدت أقدامنا مع الموسيقى غصنا جميعا أنا وهى والضوء والنغمات فى زرقة حالمة .

عندما دقت الساعة آذنه بالرحيل توقفت الموسيقى تركت كل شئ على المنضدة حتى حسن سعادتى تسبق التاكسى إلى منزلها .

فى الصباح كانت تعاستى تملأ التاكسى إلى الميناء .

وعندما علا قرص الشمس فوق السفينة اصطف الطابور ، تحركت شفتا الباشريس حسن آمره "صفا".

توحدت حركة الأقدام .

نظرت إلى ساعتى

لم أجدها ، لاهى ولا عقاربها ، أسفت .

لست وحدك

قوامها الممشوق غزال يتجول فى البرارى ابتسامتها تاج باهر ، بريق عينيها أخذ لبى سرقنى من (كريمة) كانت حواسى ملكى لكنها الآن تعمل بإرادة أكبر منى ، قلبى كان معى لكنه يجنح الآن بعيداً ، تعلق كل كيانى بها سألت نفسى ماذا يحدث ؟ كانت إجابتى مزيداً من الأسئلة .

(لم يكن أبداً كل ما أريده أبلغه ولا كل ما أبلغه أريده) باعد حبى الجديد بينى وبين خطيبتى « كريمة » غضبت منى وغضبت أمها أكثر ، حشا الغضب قلبها فأقسمت أن تنتقم .

استمرار تتابع شروق الشمس الوضيئة فى أفق سمائى أنسانى الغضب والانتقام كنت كالمسحور خطواتى تقتحم عالماً مدهشا وفى ليلة جثم سواد الليل على قلبى تشبعت كل حواسى بالسواد ، سجنت روحى أقفاص حديدية ، بكيت تلقفتنى الكآبة انتفضت كعصفور مهيض يخلص نفسه من شباك قاتلة ، ازددت اختناقاً وهبوطا إلى القاع المظلم ، مقلتاى تجريان فى محجريهما تحاولان الفرار من شئ ثقيل سكننى وتربع داخلى .

صرخت .. فتحت دولاب ملابسى وبالمقص مزقت ذراعى .. رجلى .. صدرى تقلصت كل سراويلى .

استمرار تتابع غروب الشمس الكئيبة زاد حالتى سوءا .

أخذنى أبى وأمى وأودعانى بعيداً حيث النسيان . فى عنبرى كثيرون مثلى تعددت الاسباب والحزن واحد (جاسم) نزعت السلطة أثمن ما فى رأسه (..) جردوه من ماله وعقله . القفص يضم حطامنا .

اقترب (جاسم) منى تآلفت روحانا تكلمنا فى كل شئ ريشتان تعلقتا ببعضها فى مهب العاصفة .

قلت له : أنت أول عقل مثقف واع فى مستشفى المجاذيب نظر إلى نظرة طويلة قبل أن يسحبوه عنوة إلى غرفة الكهرباء تشبثه بى لم يفده بقدر مازاد أحزانى وخوفى عليه .. تتابع غروب الشمس لم ينس أهلى أننى هنا فى القفص البعيد وفى ليلة سطعت النجوم فى السماء لتزف القمر أحضرت إلى غرفة خاصة رأيت أبى والطبيب ووجها أبيض لرجل شيخ وقور بصوت صداح ملأ عطره أركان الغرفة أخذ ، الشيخ يتلو (ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر) انتفضت .. بكيت .. قمت مرات وقعدت كنت كمن يتخلص من حمل ثقيل يفك قيوداً كانت تأسره أحسست أن ظهرى أصبح خالياً ، فر من كان متربعاً فوقه نادانى الشيخ باسمى لأقف وقفت وجاهدت قدماى لتحملانى ولوهلة مفاجئة انبثق دم أسود من موضع ظفر إصبع قدمى اليسرى الكبير رأيت الدم يلتصق بالأرض أفقت

تماماً كأني ولدت من جديد تحطمت الأقفاص .

حمدت الله .. وسجدت .

شعر الطبيب بعودتى إلى حالتى الطبيعية وتأكدت تماماً عندما عاد البريق لعينيي حدثني .. سألنى .. أجبت بتفاؤل وثقة .

حمدت الله .. وحمد الجميع الله .

كانت عينا أبى تمتلئان بدموع الفرحة ، وكانت عينا الشيخ تفيضان بالنور .

فى الصباح أشرقت الشمس كأنها لم تشرق من قبل .. صليت لأول مرة في حياتي شعرت أني أسبح فى فضاء أثيرى بالغ البهجة عندما كنت أجمع أشيائى الخاصة متأهباً لمغادرة المستشفى وجدت (جاسم) هناك فى ركن العنبر ينظر إلىّ تفيض عيناه بعاطفة محبة قوية جاء يحتضننى ويربت على كتفي ، هزنى قائلا : لا تتركنى وحدى ، أجبته ، نعم فأنت لست مريضاً .

تشبث بذراعى وهو يبوح لى بسره : إن إمرأة أبى كادت لى .

قلت له عندما تتزين السماء بالنجوم لتزف القمر سوف تتحطم الأقفاص وتخرج حرا سأحضر أنا والشيخ كن على ثقة فأنت لم تعد بعد الآن وحدك .

فالطبيب وحده لا يكفي .

جنيّة البحر

الكون الكبير يحتضن كل شئ

البحر يحتضن الإسكندرية

الإسكندرية تحتضن مقاهيها ، مقاهيها تحتضن أكواننا الصغيرة . كما تعودنا دائماً كل يوم خميس يحتوينا مساؤه مقهى القاهرة بالإسكندرية . كنا فى هذا المساء الذى غابت نجومه ستة أصدقاء وعلى غير العادة جلسنا في داخل المقهى بجوار النافذة نتسامر ونضحك ونتحدث فى كل شئ والا شئ . جميعنا أدباء ورسامون ونقاد وصحفيون نحاول أن نغسل عناء الجد والجدّ بالتسامر والضحك فجأة حجب رؤية نافذة المقهى رداء مزركش عطر غريب سد أنف بعض الزملاء . لكنه اخترق أنفى بحدة كشفره فى زبدة ، قام جرجس الرسام الذى يجمع مواهب أخرى مرحبا وهاتفا ومهللا مادا يده عبر النافذة مسلما عليها تسمرنا جميعاً. هربت الضحكات منا ، أمعنا النظر ظننا جميعاً أنه يعرفها من قبل أو هى قريبة له . الإطار الخارجي قوام لإمرأة ناضجة . رداؤها شعرها حقيبتها يغلفهم جميعاً جزء من ضباب غموض الشتاء . شئ غريب دفعنى لأشير على «جرجس» أن يدعوها لدخول المقهى لنراها عن قرب وتكون إحدى موضوعات أمسيتنا .

كان أملى ضعيفاً أن تدخل .

ذهلنا جميعاً عندما رأيناها بيننا بل وتسحب كرسيا وتجلس قبالتنا جميعاً . مخلوق ليس من السهل أن تحدد عمراً له . ملابسها غير متناسقة . لكنها لا تخلو من سمات الأجانب الذين سكنوا الإسكندرية وأدارت الحياة ظهرها لهم .

ومن حدقتا عيناك تشد إنتباهك عيناها . فهى تجمع بين الغموض والتوهان . تُخيفك . تُربِكك .

عندما تنظر هى إليك تُحذرك . تدفع بسُم الخوف ليسرى إلى كل جزء فى كيانك . تسحر حواسك فلو أمرتك بشئ ستفعله حتما . مادمت استسلمت إليها ولو برهة . تجمع بين اتساع عيون كل الجمال مجتمعة وتحجر عيون أسماك القرش . شدة نفوس وارتفاع الحاجبين يُربكَك . يحذرك يغوص فى أعماقك . قلة وجود الرموش وتسمر النفس يستفرد إذا لم تكن قويا يزيد ضعفك . ينفذ بسرعة مدربة إلى نقطة الضعف فيك .

فجأة سألها سامح الصحفى ، ماذا تعملين ...؟

أجابت بنبرة صوت يغلب عليه خشونة رجل عنه كإمرأة .

أنا بمفردى لا أعمل شيئاً ، ولكن أنا وأنت والزمان والمكان نعمل جميعاً كل شئ وصاحبت كلماتها غمزة أقفلت على زنزانة تحجر إحدى عينيها .

سألتها ماسمك ؟ الاسم لا يهم . الفعل هو الأهم . هل أنت رجل أم امرأة .... ؟

أجابت إذا كنت رجلاً حقاً فلا مانع أن أكون امرأة والعكس صحيح ، نظرت إلى (مجدى) المذيع المتأنف الجالس بعيداً بجانب النافذة ، ورشقت أسهم نظراتها فيه . شلت لسانه . أحسسنا جميعا بتوتره وقلقه .

قام جابر الشاعر من مكانه ترك مجلسنا وشعرنا جميعاً بهروبه سألتها في إجابه وهي ترتشف من فنجان القهوة الذى طلبه لها أحد أصدقائنا (إنك هو) وسأخاطبك بناء على ما أحسسته وليس على الشكل .

فجأة شهقت وشرقت وقذف فمها بكل ما فيه على بدلتى فأصابها مساحة من سواد .

قمت من مكانى ولسانى يلعنه أو يلعنها متجها إلى المياه لأمحو أثره وأنظف مكانه .

(أعوذ بالله من الخبث والخبائث) كانت شفتاى ترددان قبل دخولى لأغسل آثار البقع ، عند رجوعى أحسست أنها غير طبيعية وبقية من مسحة رجفة منها وصدى لصوت كمال الرافض لدعوتها لنا للسهر معها فى أى مكان وأنها ستحاول إمتاعنا جميعاً مزجت

كل جملة من جملتها بجزء ترتشفه من سائل زجاجتها الكحولى .

تقززت . قرأت احساسى ، ضحكت بتعال وغطرسة ، اختارت عيناها كمال المتدين يرتدى بذلة كاملة . كلامه بحساب وعقلانى المنطق .   بادرها قائلاً : من أين تعيشين ؟

أجابته وهى تبتسم : من بقايا خيولك وطيورك . ومن عدم ذكرك له .

تغيرت نغمة حديثها قائلة : لماذا لا نسهر فى منزل أحدكم أنا جاهزة دائماً   قاطعها كمال : يا سيدتى نحن ستة أصدقاء فكيف يتم ذلك ؟

ردت بانفعال إنك تبخس قدرى فأنا كفيلة بالعالم كله وليس بستة . المهم أن توافقوا أنتم والباقى على أنا . رد سامح الصحفى : وكيف يتم ذلك .

أجابته « الكل فى واحد والواحد فى الكل » المهم أنتم وما تنوون .

فجأة أحسست بخوف على ميزان تعادل أوانى نفسى المستطرقة أن يُختل .

فأومأت لجرجس خلسة بأن يدعوها للانصراف فالليلة ضاعت منا وأكتسى جو أمسيتنا الكآبة .

صافحها جرجس معلنا انتهاء جلستها وقبل أن تغادرنا تفحصتنا واحد تلو الآخر مرددة على فكرة كنت أتمنى أن أكسب صديقاً او اثنين أو كلكم والواحد بمائة ولكن ....

جرت قدميها جرا كأنها تنسحب من معركة خاسرة .

تابعت نظراتى خطواتها . لم أر خيالاً لها مع الضوء .

فجأة اختفت كأن البحر ابتلعها . البحر يحتويها

البحر يحتضن الإسكندرية . الأسكندرية تحتضن مقاهيها .

الفهرس

صفحة

المـــؤلف

نبيل عبد الفتاح شاهين يعمل كبير مهندسين بحرى . سافر إلى دول كثيرة له مجموعة قصصية سابقة تسمى البحر والحب ، يكتب القصة من سنة ١٩٦٣ فاز فى مسابقات القصة القصيرة المتعددة يكتب الدراما له كتاب فى أدب الرحلات . مهتم بعلم الباراسيكلوجي ويكتب في هذا العلم بالمجلات .

من مواليد ١٩٤٣ يقيم بالإسكندرية

تمت كتابة القصص فى ٢١ / ١ / ١٩٩٥

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

رقم الإيداع / ٢٤٦٨ / ٩٨

الترقيم الدولى / I . S . B . N 977 - 235 - 994 - 4

جمع الكاتب فى هذه المجموعة القصصية بين القضايا الاجتماعية والإنسانية العامة وبين التصور الشخصى والنفسى فى قصصه ، ولذلك جاءت قصصه شاملة لا تختص بتيار بعينه أو اتجاه محدد .

نوع الكاتب البيئات والشخصيات والمستويات ، ولم تقتصر قصصه على بيئة معينة أو طبقة اجتماعية خاصة ، وإن كانت أقرب إلى البيئة الشعبية البسيطة .

لغة الكاتب بسيطة تعتمد على الانتقالات السريعة للجمل والعبارات والترابط الزمنى للحدث ، ولم يدخل الكاتب تيار الوعى ، وإنما استعاض عن ذلك باستخدام الرمز أحيانًا والجمل الموحية أحيانًا أخرى . ولم يكثر الكاتب من المقدمات أو الحديث السردى ، وكثيراً ما اعتمد على عنصر المفاجأة .

